

أَدَبُ الْحُبَابِ اسْتِجْلَاءُ الرَّؤْيَةِ وَالْفَنِّ

د. عبد الكريم بن عبد الله العبد الكريم

أستاذ الأدب والنقد المشارك – كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

kreem.1@hotmail.com

تاريخ الإجازة: ١٤٣٧/١/٥

تاريخ التحكيم: ١٤٣٦/١١/٦

المستخلص:

يُحاول هذا البحث أن يَسْتَجْلِي أبرز الخصائص الفكرية والفنية لأدب الحُجَّاب؛ حيث حظي الحُجَّاب في العصور القديمة بمكانة عالية، واستطاع أن يستخدم نفوذ السلطان، وقوة الولاية، فكانت مجالسهم حاضنةً من حواضن الأدب والفكر، ودارت فيه حوارات، وتجاوزات أدبية طريفة، فاجتمعت نماذج أدبية متنوعة حاول الباحث أن يُلْمَلِمَهَا، وأن يَسْتَخْرِج أبرز ملامحها، وأن يفتح أفقاً جديداً للدارسين في إكمال مشوار دراستها.

إنَّ أدب الحُجَّاب يمثِّل أنموذجاً للأدب العفوي، ويكشف عن نمطٍ من أنماط الواقع السياسي في القديم، ويتسم بتنوع نماذجه، وتعدُّد أجناسه الأدبية، وتكثيف عباراته، وارتفاع وتيرة الحِجَّاج فيه، ويدفع السخط – أحياناً – إلى تكوين صور فكاهية ساخرة، وربما دفع إلى استخدام النصوص الدينية ذات الصبغة القدسية، فيستحيل النص إلى قطعة وعظية مؤثرة، وهكذا فأدب الحُجَّاب يزخر

بخصائص فنية عديدة دفعت أدباء كبار، كالجاحظ، وابن قتيبة، وابن عبدربه، وأبي حيان التوحيدي، وغيرهم أن يلتفتوا إلى تلك النماذج، ويخصصوا لها حيزاً من كتبهم، واختيارهم دليلٌ على أصالة هذه النماذج، وثرائها الفكري، والفني. إنني لا أزعم الإحاطة بهذا الموضوع، وإنما اجتهدت في إبراز خصائصه، ولفت النظر إليه، ولملمة نماذجه، ومصادره، وأرجو أن يجد هذا الموضوع اهتماماً عند الدارسين والمهتمين في حقل الدراسات الأدبية والنقدية، ففيه مسارب عديدة، وفرصٌ ملهمة، والله ولي التوفيق.

الكلمات المفتاحية:

أدب الحُجَّاب - مجالس الخلفاء - أدب الحَاجِب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين،
نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد اتخذ الخلفاء والأمراء والوزراء في القديم والحديث حُجَّابًا يُنظَّمُونَ دخول الناس عليهم، ويُعنون بمواعيدهم، وربما تمددت مهامهم إلى ما هو أكبر من ذلك^(١)، غير أن هذا المنصب الإداري كان ذا قيمة في العصور القديمة، وأصبح الحاجب هو الطريق إلى لقاء الخليفة، أو الوزير، والتأثير في رأيه، واستجلاب رضاه عن فئام من الناس دون آخرين، وربما استخدم بعض الحُجَّاب يد السلطة، وقوة الوالي، وصلاحيات الولاية، فكان أثرهم في السياسة بازغاً، وقد «اشتهر من الحُجَّاب جماعةٌ كان لهم أثرٌ ظاهر في سياسة الدولة، كالربيع وولده الفضل، والمنصور في الأندلس، الذي استبد بالملك، وأنشأ دولةً لبثت أمداً»^(٢).

وأُسْقِنَتْنا مجالس الحُجَّاب ألواناً أدبية طريفة، تشكَّلت في قوالب عديدة ما بين شعرٍ، وحكم، ووصايا، ورسائل، وألوانٍ أخرى سيرد لها ذكر في هذه المقالة، وهي نصوصٌ استوقفت دارسي الأدب، وهي قميئةٌ بتنبيه الباحثين إلى نماذجها، وتحفيزهم؛ لفحص قيمتها الفنية، وإبراز معالمها الفكرية، وهذه هي غايتي في هذه المقالة العلمية التي أرجو أن تسهم في مزيدٍ من الاستقصاء والتعمق؛ لدراسة هذه الظاهرة المتوارية في كتب التراث، الثرية بنصوصها، والغنية بقيمتها الفكرية والفنية،

(١) انظر: معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية من العصر الراشدي حتى بداية القرن العشرين، د. قتيبة الشهابي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٥م: ٣٥.

(٢) انظر: فكر ومباحث، علي الطنطاوي، دار المنارة - جدة، ط: ٣، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م: ١٢٢-١٢٧.

وفي مثل هذه المقالات لا تتسع المساحة إلا لومضاتٍ تُفَسِّحُ الطريق، وتُسَهِّلُ الدرب، وتلفت النظر، وتكون سلسلة في منظومة من الدراسات المتخصصة. وقد وَقَر في نفسي منذ أيام دراستي في الجامعة مقالٌ جميلٌ للشيخ علي الطنطاوي عنوانه: (الحُجَّاب)، ولمَس فيه لَمَساً رقيقاً أدب الحُجَّاب، من دون تحليل عميق، أو استقصاء نماذج هذا الأدب، غير أن ما استوقفني منذ قراءتي تلك المقالة قوله: «... ونشأ عن ذلك شعر، وحكم، وقصص ملأت كتب الأدب، حتى إنه لو حاول أحد طلاب كلية الآداب إعداد رسالة (أطروحة) في (أدب الحُجَّاب) لنال شهادة الدكتوراه»^(١).

كما أن الذاكرة استدعت قول أبي تمام الشهير:

ليس الحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا إِنَّ السَّمَاءَ تُرَجِّي حِينَ تُحْتَجَبُ

هذا البيت الذي حَضَرَ في مدونات الأدب الشهيرة، وتواتر في كتبهم، هل سأجد له نظيراً من الشعر والنثر؟! فاستَحَثُّتُ الخُطَا إلى البحث الجاد عن هذه الظاهرة (أدب الحُجَّاب)، فوجدت في كتب التراث أبواباً وفصولاً وإشارات إلى هذا الأدب، واجتمعت عندي مادة أدبية ملهمة للدرس النقدي، ومن تلك الكتب التراثية التي وجدت فيها بغيتي:

- رسائل الجاحظ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت ٢٥٥ هـ، وقد خَصَّص الرسالة الثانية عشرة لأدب الحُجَّاب، وقال في مقدمتها: «وقد جمعتُ في كتابي هذا ما جاء في الحُجَّاب من خبرٍ وشعرٍ، ومعاتبه وعذر، وتصريحٍ وتَعْرِيفٍ، وفيه ما كفى، والله الموفق»^(٢).

(١) السابق: ١٢٥.

(٢) رسائل الجاحظ، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة:

وأورد في هذه الرسالة كمًّا كبيراً من النصوص الشعرية والثرية، وقَسَم رسالته تقسيماً موضوعياً، واستحضر بعد كل موضوع ما يشاكله من النصوص. وفي تقديره أن هذه الرسالة من أهم المصادر وأثرها في أدب الحُجَّاب.

- عيون الأخبار، لعبدالله بن مسلم بن قتيبة، ت ٢٧٦هـ، حيث خصَّص حديثاً عن الحُجَّاب في الجزء الأول من كتابه، وأورد فيه عدداً من المواقف والطرائف وال نوادر بلغت ثمانية وعشرين عنواناً تضمنت أشعاراً، ووصايا، ورسائل، مثلت مادة جيدة من أدب الحُجَّاب^(١).

- كتاب المحاسن والمساوي، للإمام إبراهيم بن محمد البيهقي، ت ٣٢٠هـ، حيث تناول محاسن الحُجَّاب، ومساوئهم، وأورد في كل عنوان نماذج ليست قليلة من الشعر والنثر وال نوادر الأدبية الماتعة^(٢).

- العقد الفريد، لابن عبدربه، ت ٣٢٨هـ، حيث أورد في كتاب اللؤلؤة في السلطان حديثاً عن الحُجَّاب تضمَّن مادة شعرية ونثرية لا بأس بها^(٣).

- زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق الحصري، ت ٤١٣هـ، حيث أورد في الجزء الثاني من كتابه حديثاً عنونه بـ(أدب الحَاجِب)، وضمَّنه أقاويل عديدة لبعض البلغاء، وأشعاراً تمحورت حول الحاجب، وكان من المصادر المهمة؛ لتعزيز مادة هذا البحث^(٤).

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة، تحقيق: د. محمد الإسكندراني، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م: ١/ ١٢٢.

(٢) انظر: المحاسن والمساوي، للإمام إبراهيم البيهقي، اعتنى به: عدنان علي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م: ١٢١-١٢٧.

(٣) العقد الفريد، لابن عبدربه، تحقيق: مفيد قميحة، مكتبة دار الباز- مكة المكرمة، د.ت: ١/ ٦٧.

(٤) زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق الحصري، ضبط: زكي مبارك، دار الجيل- بيروت، =

- مثالب الوزيرين، لأبي حيان التوحيدي، ت ٤١٤ هـ، حيث وجدتُ في كتابه إشارتين إلى الحُجَّاب: الأولى عنوانها: (تعلُّ الصَّاحِبِ بِالْحُجَّابِ)، والثانية: (شعرٌ في الحُجَّاب) (١).

- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، لمحمود بن عمر الزمخشري، ت ٥٣٨ هـ، إذ جاء في الباب الثاني والثمانين ما يلي: «الملك والسلطان والإمارة والبيعة والخلافة وذكر الولاية، وما يتصل بهم من الحُجَّاب» (٢). وبثَّ فيه مادةٌ لا بأس بها من أدب الحُجَّاب.

- التذكرة الحمدونية، لابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي، ت ٥٦٢ هـ، وقد أفرد في الباب الحادي والأربعين حديثاً عن الإذن والحُجَّاب: متيسره، ومتصعبه. وتشعب فيه الحديث عن النهي عن شدة الحُجَّاب، وفنون المعاني في الحُجَّاب، وأشعار وحكايات في الحُجَّاب، ونوادير الحُجَّاب (٣).

- مفيد العلوم ومبيد الهموم، لزكريا بن محمد القزويني، ت ٨٦٢ هـ، حيث جاء الباب الرابع من الكتاب الخاص بسير الملوك مخصصاً للحُجَّاب، ولم يغمره بمادة كبيرة غير أن إشارته تبقى مهمة للباحث في أدب الحُجَّاب (٤).

ط: ٤، د. ت: ٢ / ٥٤٩.

(١) مثالب الوزيرين، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر للطباعة والنشر-دمشق، ط: ٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م: ٢٦٦.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، لمحمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للطبوعات-بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م: ١٦١/٥.

(٣) التذكرة الحمدونية، لابن حمدون، تحقيق: إحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر-بيروت، ط: ١، ١٩٩٦م: ٨/١٩٣-٢٠٧.

(٤) مفيد العلوم ومبيد الهموم، لزكريا القزويني، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، د. ت: ٣٨٢.

إنَّ هذه الكتب - وغيرها كثير - تمثل مستودعاً لنماذج أدب الحَجَّاب، وتكشف من جانبٍ آخر عن ثراء هذا اللون الأدبي، الذي مثل ظاهرةً أفردتها بعض التراثيين بالقول، فدونوا طرائفها، وتَنَوَّعَ أجناسها، وأبرز ما جالَ فيها من فكرٍ وموضوعات، وهي قمينَةٌ بأن تتلمَّس جدلية الجدِّ، والهزل فيها، وألمع خصائصها الفنية، وهل كانت مراسيم الحجابة في العصور الإسلامية المتقدمة باعثةً لوناً أدبيًّا طريفاً؟! وكيف استطاع المحجوب بظروفه المختلفة من قنوطٍ، وبذلٍ للوجه، أو تكريمٍ واحتفاء، أن يرسم صورة الحَجَّاب، أو صورة الخليفة والسلطان وصاحب الولاية... تساؤلاتٌ عديدةٌ تتلجج في خاطري، وأنا أقف إزاء هذا اللون الأدبي الطريف، وتلحُّ عليَّ في تلمُّس أبرز خصائصه، وطرائق تشكُّله، وأنماط تعبيره، وبخاصة أن شطراً من نماذج هذا اللون الأدبي اعتمدت الآنية في الرد، والعفوية في الجواب، فمثلت سليقةً أدبيةً غير مصطنعة، كما أن تقديم نصوص الحَجَّاب في حينٍ واحد ولفت النظر إليها مهمةٌ أخرى سيطرت عليَّ في كتابة هذه المقالة.

أدب الحُجَّابِ «رؤية وصفية»

تدور مادة (حَجَبَ) في المعاجم العربية حول معنى السترف «حَجَبَ الشَّيْءَ يَحْجُبُهُ حَجْبًا وَحِجَابًا وَحِجَابًا وَحِجَابًا... وَسَتَرَهُ... وَالْحَاجِبُ: الْبَوَّابُ، وَجَمَعَهُ: حَجَبَةٌ وَحُجَّابٌ»^(١). وَحُجَّابُ الْكَعْبَةِ هُمْ: سَدَّتْهَا، وَمَنْ يَتَوَلَّوْنَ حَفْظَ مِفَاتِيحِهَا، وَهُمْ بَنُو شَيْبَةَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ^(٢).

وَعُرِفَتْ وَظِيفَةُ الْحَاجِبِ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عِنْدَمَا حَاطَ أَحَدَ الْخَوَارِجِ اغْتِيَالَ الْخَلِيفَةَ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَاتَّخَذَ حَاجِبًا؛ لِحِمَايَتِهِ مِنَ الْمُرْتَبِصِينَ، وَرَغْبَةً فِي تَنْظِيمِ أُمُورِ الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ عَلَى الْخَلِيفَةِ، وَهُوَ مَنْصِبٌ سَبَقَ إِلَيْهِ الْفَرَسُ فِي تَنْظِيمِ أُمُورِ دَوْلَتِهِمْ، ثُمَّ تَطَوَّرَ هَذَا الْمَنْصِبُ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ؛ لِيَصْبِحَ هُنَاكَ حَاجِبٌ أَوَّلٌ، ثُمَّ ثَانٍ، ثُمَّ ثَالِثٌ، وَالْأَخِيرُ هُوَ الَّذِي يُقَابَلُ الْجُمْهُورَ، وَيَسْتَقْبَلُ طَلِبَاتِ الرِّعْيَةِ، فَحَاطَ نَفْسَهُ بِهَالَةٍ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْعِظَمَةِ؛ فَعَلَّتْ مَرْتَبَتُهُ، وَاسْتِطَاعَ الْأَقْوِيَاءُ مِنَ الْحُجَّابِ أَنْ يُضْعِفُوا مِنْ قُوَّةِ الْمَسْئُولِينَ، وَالْأَمْرَاءِ، وَأَنْ يَنَافِسُوهُمْ عَلَى سُلْطَاتِهِمْ^(٣).

وَقَدْ أَفْرَزَ هَذَا الْمَنْصِبَ الْإِدَارِي حِرَاكًا أَدَبِيًّا ثَرِيًّا عَبْرَ الْعَصُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَحَفِظَتْ لَنَا كُتُبُ التَّرَاثِ كَمَا لَا بَأْسَ بِهِ مِنَ النَّمَاذِجِ الْأَدَبِيَّةِ الَّتِي دَارَتْ فِي مَحِيطِ الْحُجَّابِ، وَكَوَّنتْ مَادَّةً جَيِّدَةً، تَشَكَّلَتْ - فِي إِطَارِهَا الْعَامِ - بِالْأَنْمَاطِ الْآتِيَةِ:

• أدب طرفاه: الخليفة والحاجب.

(١) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر-بيروت، د.ت: مادة (حجب).

(٢) انظر: أسماء الكعبة المشرفة، للعلامة محمد المكي حسين، بإشراف علي الرضا التونسي، د.ن: د.ت: ٢١.

(٣) انظر: نظام الحكم في الإسلام، لمنصور الرفاعي عبيد، الدار الثقافية للنشر، ط: ١،

- نصوص عامةٌ قيلت في الحُجَّاب من دون أن تكون بين أطراف محددة، وإنما شكلت نصوصاً عامة دارت حول الوصايا، وشروط الحاجب، ونحو ذلك.
- أدب طرفاه: الجمهور والحاجب.

فأول مسارات أدب الحُجَّاب ما كان طرفاه بين (المسؤول) و(الحاجب) من مثل قول الرشيد لبشر بن ميمون: «يا بشر، صُنْ طَلَاقَةَ اسْمِكَ بِحَسَنِ فَعْلِكَ، وَاحْجِبْ عَنِي مِنْ إِذَا قَعَدَ أَطَالَ، وَإِذَا طَلَبَ أَجَالَ فِكْرَهُ، وَلَا تَسْتَخِفَنَّ بِذَوِي الْمَرْوَةِ وَالْحَرَمَةِ، فَإِنَّهُمْ إِنْ مَدَحُوا تَلَبَّوْا، وَإِنْ ذَمُّوا أَزَالُوا»^(١).

والمسار الثاني هو ضمن السياقات العامة للحديث عن الحُجَّاب، وهو أقرب إلى الحِكْمِ والوصايا العامة التي تَعْنُ للمتحدث عندما يكون الحديث عن هذا الموضوع، من دون أن تكون لأطراف الحديث علاقة مباشرة بالحاجب، أو المحجوب، ومن ذلك على سبيل المثال قولهم: «حاجب الرجل حارس عِرْضِهِ»^(٢).

أمَّا المسار الثالث فنماذجه هي الأوفى؛ وذلك لأن روايته أيسر، ووقائعه أمام جمهور من الحضور، تتوارد روايتهم الحادثة، كما أنه محلٌّ للحجب، والحوار، والنزاع، فالموقف تتجاذبه رغبةٌ من المحجوب في الدخول، وسلطةٌ من الحاجب تمنعه أو تؤخره، أو تهينُه، أو تُكْرِمُه، وهذا ما جعل النماذج من هذا اللون تتواتر في مدونات الأدب من مثل قول أعرابي حُجِبَ^(٣):

أُهَيْنُ لَهُمْ نَفْسِي لِأَكْرَمِهَا بِهِمْ وَلَا يُكْرِمُ النَّفْسَ الَّذِي لَا يُهِينُهَا

(١) المحاسن والمساوي: ١٢٢.

(٢) عيون الأخبار: ١/١٢٣.

(٣) السابق: ١/١٣١.

وكقول جرير عند الحاجب^(١):

قومٌ إذا حَصَرَ الملوكَ وفودهم نُتِفَت شواربهم على الأبواب

أولاً- أدب الحُجَاب والأجناس الأدبية:

الحديث عن الأجناس الأدبية حديثٌ طويلٌ الذيول، غير أنَّ المسلم به أنَّه «لا يمكن أن نتصور جنساً أدبياً إن لم نطلق من تحديدٍ للأثر واضح»^(٢). وإذا استقبل المتلقي أيَّ أثرٍ أدبيٍّ فإنه سيستدعي له جنساً أدبياً يَخْضَعُ لحدوده، وخصائصه، ويسهم في تعزيز فهمه الأثر الأدبي، ومن ثمَّ تقويمه، وإدراك معيارية النقد المناسبة له.

ولا ريب أن انتماء نصٍّ ما إلى جنس من الأجناس الأدبية لا يمنع من انتمائه إلى جنس أدبي آخر وفاق السمات المهيمنة عليه^(٣)، وربما نلاحظ هذا التقارب بين السير الذاتية والرواية، أو ما أصبح يتردد في أقنونات الدرس النقدي من مباحث خاصة بتداخل الأجناس الأدبية. يقول الدكتور عبد الله إبراهيم: «مرَّت نظرية الأنواع الأدبية - كما تبلورت في الثقافة الغربية - بمرحلتين أساسيتين: مرحلة قديمة بلغت ذروتها بالكلاسيكية الجديدة التي دعت إلى فصل الأنواع الأدبية بعضها عن بعض، وبحثها بوصفها قارات منفصلة؛ حيث ينكفئ كل نوع ضمن أسوار مغلقة لا يتراسل فنياً مع غيره، ومرحلة وصفيّة ظهرت حديثاً لا تعنى بحكم القيمة، ولا تحدّد عدد الأنواع الأدبية تحديداً فاصلاً، ولا تقول بقواعد نهائية وصارمة، وتفترض إمكانية

(١) السابق: ١/ ١٣١.

(٢) الخبر في الأدب العربي: دراسة في السردية العربية، د. محمد القاضي، منشورات كلية الآداب،

جامعة منوبة، ط: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م: ٢٩.

(٣) السابق: ٢٩.

المزج بين الأنواع الأدبية؛ لتوليد نوع جديد...»^(١).

وأدب الحجاج جاء في قالب شعري، وآخر نثري، وهذه الدائرة الكبرى لا تستوقفني كثيراً، غير أنني سأقرب إلى دائرة النثر؛ لأمعن النظر في النصوص المتوالية من هذا الأدب؛ لأجد أجناساً نثرية استوعبتها تصنيفات الدارسين من قبيل الوصية، والرسالة، والمثل، وأصنافاً أخرى جاءت في قوالب نثرية وجيزة تشظى تجنيسها، وتعدّد تحديدها، الأمر الذي حداً بباحثٍ في الأجناس النثرية الوجيزة أن يعترف بهذه الحقيقية قائلاً: «وعلى الرغم من فاعليّة مقولة الجنس باعتبارها آلية وصفٍ وتصنيفٍ وتفسير، فإنّ تعدّد أجناس النثر الوجيزة، وانتشارها في متون مختلفة، واستعمالها في سياقات متعددة ينتج عنه عسرٌ كبيرٌ في تصنيفها وتقسيمها»^(٢). ويقول في موطنٍ آخر مؤكداً سديم الحدود الأجناس النثرية الوجيزة: «ولاشكّ في أن ما يزيد عملية التصنيف التي نسعى إلى تحقيقها صعوبةً هو كثرة الأجناس الوجيزة في النثر العربي القديم، وتداخلها على نحوٍ قد يحجب خصوصية كلٍّ منها، ويخفي فرادته...»^(٣).

وعند إمعان النظر في أدب الحجاج النثري نجد إشارات من أصحاب المدونات الأدبية تشي بالجنس الأدبي للنصوص من قبيل ما نصّ عليه الراغب الأصبهاني ت ٥٠٢ هـ، في (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء)، حين أورد نصوصاً من أدب الحجاج تحت عنوان: (وصايا الحجاج)^(٤). فهو يحدد

(١) موسوعة السرد، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع-بيروت، ط: ١، ٢٠٠٥م: ٣٠٥.

(٢) الأجناس الوجيزة في النثر العربي القديم، لجميل علي، بحث دكتوراه غير منشور، ٢٠٠٤م/ ٢٠٠٥م، جامعة منوبة، كلية الآداب والإنسانيات والفنون: ٣٥-٣٦.

(٣) السابق: ٣٦.

(٤) منهم من يجعل الوصية ضمن الأجناس النثرية، ومنهم من يراها شكلاً من أشكال الخطاب له =

نمط النصوص قبل استحضارها، ويمثل لذلك بقول المنصور لحاجبه: «إِنَّكَ بولايتي عظيم القدر، وِبِحِجَابِي رَفِيعَ الْجَاهِ، فابْسُطْ وَجْهَكَ لِلْمَسْتَأْذِنِينَ، وَصُنْ عِرْضَكَ عَن تَنَاوُلِ الْمُحْجُوبِينَ، فَمَا شَيْءٌ أَوْقَعَ فِي قُلُوبِهِمْ مِّنْ سَهْوَةِ الْحِجَابِ، وَالْإِذْنِ، وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ»^(١).

وَإِشَارَاتٌ أُخْرَى تَكْشِفُ عَن كَوْنِ النَّصِّ مِّنْ قَبِيلِ جِنْسِ الرِّسَالَةِ، وَذَلِكَ حِينَ تَرَدُّ صِيغَةُ الْكِتَابَةِ قَبْلَ النَّصِّ، حَيْثُ يَقُولُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ ت ٣٢٨ هـ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ: «قَالَ أَبُو بَشِيرٍ: حَجَّيْتَنِي بَعْضَ كِتَابِ الْعَسْكَرِ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ: إِنَّ مَن لَمْ يَرْفَعِ الْإِذْنَ لَمْ يَضِعْ الْحِجَابَ، وَأَنَا أَرْفَعُكَ عَن هَذِهِ الْمَنْزَلَةِ، وَأَرْغَبُ بِكَ عَن هَذِهِ الْخَلِيقَةِ... فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْحَالِ، وَانظُرْ إِلَيْهَا بَعِينَ الْفَهْمِ تَرَاهَا فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ، وَأَدْنَى مَنزَلَةٍ»^(٢).

وَحِينَ حُجِبَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ سَلِيمَانَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: «سِرْتُ إِلَى بَابِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - عِنْدَمَا حَدَّثْتَ مَن أَمْرَكَ، فَلَمْ يُقْصَ لِقَاؤُكَ، وَعَلِمْتُ أَنَّ ثِقَّتَكَ بِمَا عِنْدِي قَدْ مَثَلَتْ لَكَ حَالِي مِّنَ السَّرُورِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدَكَ، وَأَزَّتْكَ مَوْضِعِي مِّنَ الْإِعْتِدَادِ بِكُلِّ مَا خَصَّكَ، وَوَصَلَ إِلَيْكَ، فَوَكَّلْتُ الْعِذْرَ إِلَى ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّا نَأْتِيكَ مَتَمِّينِينَ بَطَلْعَتِكَ، مُشْتَاقِينَ إِلَى رُؤْيَتِكَ، فَيَحْجُبُنَا عَنْكَ مُلَاحِظٌ، وَهُوَ - كَمَا عَلِمْتُ - زَنِيمُ الصَّنِيعَةِ، لَيْئِمُ الطَّبِيعَةِ، يَحْجُبُ عَنْكَ الْكِرَامَ، وَيَأْذَنُ عَلَيْكَ لِلنَّامِ، كَلَمَا نَجَمَتْ لَهُ يَدٌ بِيضَاءً، أَتْبَعَهَا يَدًا سُودَاءً، فَإِن رَأَيْتَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - أَنْ تَصْرِفَهُ عَن بَابِ مَكَارِمِكَ

وظائف دينية واجتماعية... انظر: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم:

مشروع قراءة شعرية، د. صالح بن رمضان، دار الفارابي، ط: ٢٠٠٧، م: ٣٠٢.

(١) حاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصبهاني، دار الآثار - بيروت، د. ط:

فعلت إن شاء الله»^(١).

ومقام الحاجب وحواره مع طالبي الدخول إلى الخليفة أو الأمير أثمر جنساً أديباً عرفته العرب منذ القدم، وهو الجواب المفحم، أو الجواب المسكت، وهو من الأجناس النثرية الوجيهة، التي تتسم بحجاجية عالية، وإجهاضٍ لاسترسال الحديث، ومن ذلك أن أبا سفيان حُجب عن عثمان ف قيل له: «حجبك أمير المؤمنين؟! فقال: لا عدت من قومي من إذا شاء حَجَبَنِي»^(٢). وقال رجلٌ لزياد: «إنَّ حاجبك إنما يبدأ بالإذن لمعارفه، فقال: قد أحسن. المعرفة تَنفَعُ عند الكلب العَقُور، والأسد الهُصُور، وبين لحيي البعير الصُّور، كن من معارفه، فقد قيل: التعارف نسب، وقَبَّحَ الله معرفة لا تنفع»^(٣).

وتجد من الدارسين من يسلك بعض نماذج هذا الأدب ضمن النوادر، والنادرة مصطلح دار حوله حديث طويل في تجنيسه المستقل، كما في الدراسات التي قدمها محمد مشبال، وتلميذه سليمان الطالي^(٤)، غير أن الهزلية - وهي مقوم أساس من مقومات النادرة^(٥) - جعلت بعض الدارسين يسلك نصوصاً من أدب الحجاج الهزلية ضمن مسلك النادرة^(٦).

(١) زهر الآداب: ٢/٥٥٠-٥٥١.

(٢) عيون الأخبار: ١/١٢٣.

(٣) المحاسن والمساوي: ١٢٣.

(٤) محمد مشبال تركز جهده حول هذه القضية في كتابه: (بلاغة النادرة، أفريقيا الشرق، ط: ١، ٢٠٠٧م)، والطالي كتب أطروحة دكتوراه طبعت بعنوان: (بلاغة النادرة في الأدب العربي، كنوز المعرفة، ط: ١، ٢٠١٥م).

(٥) بلاغة النادرة في الأدب العربي: ١١٠.

(٦) انظر: موسوعة العرب ولطائف الأدب، لحسن الحفناوي، منشورات المجمع الثقافي في أبوظبي، ط: ١.

بيد أن نصوصاً أخرى جاءت في إطار يستعصي على الدارس أن يضمها إلى إطار جنسيّ محدّد، وإنما هي نصوصٌ نثريةٌ موجزةٌ هيمنت عليها المقاولات والمحاورات، وجاءت ضمن إطار الأجناس النثرية الوجيهة ذات التكثيف العالي، وتلقفها أصحاب المدونات الأدبية، وأودعوها مؤلفاتهم، فجاءت مبنوثةً من دون إطار جنسيّ صارم. تأمل قول الوزير البلّعي وزير عبد الملك بن نوح لما عوتب على حجه أحد أصدقائه: «لك عندنا بما استعنت العُتبي، وعلى ما استعدت العدوى، أمّا نهارنا فمقسومٌ بين حوائج الناس، وإثما نزع بالليل؛ للاستئناس بوجوه الأولياء والخواص، فاحضر بالنهار مُبَاسِطاً ومُخَالِطاً، وبالليل مؤانساً ومُجالساً»^(١).

إننا إزاء خطاب شفهي في تلفظه الأول بدليل استخدام لفظة (قال)، ولكننا نجد عسراً في تحديد هذا القول تحديداً صارماً، هل هو ضمن الأجناس النثرية المعلومة في دراساتنا النقدية؟! ربما نجد تداخلاً في سمات الأجناس المعلومة في نصّ ما، لكننا نقف أمام نصّ نثري موجزٍ قائم على المقالة، ويستدعي في ذهني حاجة ماسةً إلى مزيدٍ من الدرس والتحليل في تحديد الجنس الأدبي، وبحثٍ أعمق في استقراء خصائص الأجناس النثرية، كما أنّ المجازفة الكبيرة في استسهال تصنيف الأجناس أمرٌ غير يسير، وهذا ما حداً بباحثٍ في الأجناس النثرية الوجيهة أن يعترف بأنّ البحث في أجناسية هذه النصوص «ظُلَّ مهجوراً؛ إذ لا تظفر كلّما نظرت في الدرس النقدي الحديث ببعض الملاحظات إلا لماماً»^(٢).

ولا ريب أنّ الملحوظة الكبرى التي تسجل -هنا- في أدب الحجاب تتمثل

١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م: ٤١٦.

(١) مثالب الوزيرين: ٢٦٦.

(٢) الأجناس الوجيهة في النثر العربي القديم: ١٢.

في وجود تنوع واضح للأجناس النثرية التي تلبس بها هذا الأدب، ومجيئها في قوالب عديدة بدأت بثنائية الشعر والنثر، فوافقتنا كتب التراث بنماذج من هذين القسمين الكبيرين، ثم اندرجت تحت النثر أجناس نثرية ناصعة، وأخرى في منطقة رمادية، إلا أن هذا التنوع يؤكد حقيقة مهمة، وهي: تنوع مقامات الخطاب، واختلاف أوجه القول، وطرائق المقاولات، ومستقبلي الخطاب، ومقدار الرضا والغضب، وهذه الأحوال المختلفة تعطي مؤشراً على أن هذا اللون الأدبي ذو طبيعة إنجازية تتغير وفاق المقام.

ثانياً - التكتيف والإيجاز:

أسلفت الحديث عن تنوع الأجناس النثرية التي تدثر بها أدب الحجاج، غير أن سمة أخرى تبرز في هذا اللون الأدبي، وهي مجيئه في قوالب موجزة كثيفة، فالشعر لا يعدو أن يأتي في مقطعات شعرية من بيت أو بيتين أو ثلاثة، والنثر غلب عليه ما يغلب على الخطاب الشفهي الذي يتسم بالإيجاز، وتكثيف المعنى، كما هي عادة العرب في الإيجاز، ومرد ذلك في تقديري إلى أن مقام القول (مجلس الحاجب/ مجلس الخليفة) يستدعي هذا النمط السريع من القول، إضافة إلى أن مهمة إنجاز القول مرتبطة بالحاجة غالباً: حاجة الدخول، أو الحاجة إلى المعاتبة، أو الحاجة إلى النوال... وهذه الحاجات تأتي -غالباً- في مقام مزدحم بالجمهور، وفي وقت يكتظُّ الحاجب بشواغل عديدة، فيفضي الأديب بحاجته عبر أقصر طريق، وأبلغ تأثير، وأسهل سبيل؛ فكان الإيجاز سمة حاضرة هنا.

كما أن لغة الإيحاء والتلميح والتعريض^(١) حاضرة في أدب الحجاج، وهذه

(١) مما يؤكد هذا الحكم قول الدكتور صالح بن رمضان: «والراجح عندنا أن الثقافة الخطابية العربية القديمة في مستواها القاعدي هي ثقافة كنائية أولاً». التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، مطبوعات النادي الأدبي في الرياض، المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء، ط: =

اللغة تكفي فيها الإشارة والإيماء، والتلويح، إضافةً إلى أن هذا الأدب هو لون من الأدب العفوي الآني الذي يولد غالباً في لحظة الحدث، ويجري على اللسان وفاق الموقف من دون تفكير عميق، أو مراحل ولادةٍ طويلة.

ومن المقطعات الشعرية المتواترة في هذا الأدب قول أبي العتاهية لمّا

حُجِبَ^(١):

لئن عُدْتُ بعدَ اليومِ إنِّي لظالمٌ سأصْرِفُ وجهي حيثُ تُبْعَى المكارمُ
متى يَنْجَحُ الغادي لديك بحاجةٍ ونصفُكَ محجوبٌ ونصفُكَ نائمٌ

وقول أحدهم^(٢):

ما ضاقت الأرضُ على راغبٍ يَطْلُبُ الرِّزْقَ ولا هاربٍ
بل ضاقت الأرضُ على طالبٍ أصبح يشكو جَفْوَةَ الحَاجِبِ

وهذا التكتيف توارد في النثر حتى جاءت بعض النصوص على هيئة الأمثال المركّزة، من ذلك قول شبيب بن شيبة لمّا خرج من دار الخلافة، وسئل: كيف رأيت الناس؟ فقال: «رأيتُ الدَّاخِلَ راجياً، ورأيتُ الخارجَ راضياً»^(٣).

ويقول المهدي للفضل بن الربيع: «إنِّي قد ولّيتكَ سترَ وجهي وكشّفه، فلا تجعل الستر بيني وبين خواصي سبباً لضغنهم بقبح ردِّك، وعبوس وجهك؟ وقدّم أبناء الدعوة، فإنهم أولى بالتقديم، وثنّ بالأولياء، واجعل للعمامة وقتاً إذا دخلوا

١٠١٥، ٢٠١٥م: ٢٤٨.

(١) المحاسن والمساوي: ١٢٥.

(٢) عيون الأخبار: ١/١٢٦.

(٣) السابق: ١/١٣١.

أَعَجَبَهُمْ ضَيْقُهُ عَنِ التَّلْبِثِ، وَصَرَفَهُمْ عَنِ التَّمَكُّثِ»^(١).

وأحسب أن الحديث عن الإيجاز في هذا الموضوع لا يحتاج إلى مزيد بيان، فهو سمةٌ يستدعيها مقام القول، ولأنَّ البلاغة التي يعتقدها العرب تكمن في الإيجاز، وترك فضول القول، وإصابة المعنى كما يقرّر ذلك الجاحظ ت ٢٥٥ هـ في كتابه (البيان والتبيين)، وهذه السمة تتناسب والحديث مع الحاجب، أو حين يصدر القول منه، فهو مشغولٌ بجمهور الحضور، وحيز القول محدود؛ فكان التكتيف عنصراً مهماً لإصابة المعنى، واستجلاب الحاجة.

ثالثاً- السخرية والفكاهة:

عندما أفحص النماذج التي بين يدي أجدها بالجملة تتجه إلى خطاب تكسوه سمة السخرية والفكاهة التي تتولّد من عاطفة السخط من الحَجَب، والتَّبرم من الانتظار، والعتاب على صاحب الولاية، والاستياء من الردود، فجاءت جملةٌ من النصوص مكنزة بكتلة من التصوير الساخر، وحين يبلغ الغضب منتهاه تحضر صورٌ قاتمة من الفجور، الذي يروم قائله الانتقام، والاستشفاء، والسخرية^(٢)، كما في قول أعرابي طال انتظاره^(٣):

حجابٌ شديدٌ لأبوابه وليس لباب..... حاجِبٌ

ويصوّر أحدهم طول الانتظار عند الأبواب تصويراً ساخراً يقوم على

(١) زهر الآداب: ٢/ ٥٥٠.

(٢) روى أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر كثيراً من الملح والنوادر والفكاهات، وبعضها في غاية البذاءة، وكان يروي بعضها على مسامع الوزير ابن سعدان بألفاظ صريحة، مع ما عرف به ابن سعدان من وقار ومهابة. انظر: البصائر والذخائر: ١/ ٢٧٧.

(٣) المحاسن والمساوي: ١٢٦.

الافتراضات الهازئة، فيقول^(١):

ونزع نفسٍ ورَدُّ أَمْسٍ	لَقَلْعُ ضَرْسٍ وَصَنْكُ حَبْسٍ
وفقد إلفٍ وإلفٍ فِلسٍ	وأكلُ كَفٍّ وضيقُ خُفٍّ
ودَبْعُ جِلْدٍ بغيرِ شمسٍ	وقودُ قِرْدٍ ونَسْجُ بُرْدٍ
وكُلُّ غَمٍّ ويومٌ نحسٍ	وشُرْبُ سُمٍّ وقتلُ عَمٍّ
وبيعُ جارٍ برُبْعِ فِلسٍ	ونفخُ نارٍ وحملُ عارٍ
يلقَاكَ بوَّابِهِ بعبسٍ	أيسرُ من وقفَةٍ ببابٍ

إنَّها لغةٌ بسيطةٌ هيمنت عليها لغة التعجيز، والاستحالة، ووضع الافتراضات المتوالية، التي تثبت في البيت الأخير أنَّ المستحيلات بأنواعها المختلفة أهون من الانتظار عند حاجبٍ مكفهر الوجه، وهي لغة حجاجية، سيطرت عليها صور ساخرة، توالى بكثافة مُنْفَرَّة، وفي كل جملة شحنةٌ تزيد الاشتمزاز، والنَّفور، وتزيد من تشوِّف القارئ، وتلَهِّفه إلى نهاية هذه الافتراضات.

وتأتي بعض النصوص في قالب يعتمد على إستراتيجية الإضحاك، والفكاهة، ومباغته المتلقي بخرق أفق توقعه، فيأتي النص في قالب فكاهي يبدد طول الانتظار، واكفهرار الحاجب، وفيه استجداء غير مباشر للدخول على الخليفة أو الوزير، فالضحك يستجرُّ الضاحك إلى منطقة اللين، واللطف، وهذه المنطقة يتبعها تنازلٌ عن الحدود الصارمة في تطبيق النظام، وتجرُّدٌ من عباءة المسؤولية الرسمية، وربما رسم الأديب موقفه رسماً كاملاً ممزوجاً بالفكاهة بحيث يعبر عن عدم بلوغ غايته، وقضاء حاجته، من مثل قول محمود البغدادي^(٢):

(١) السابق: ١٢٦.

(٢) العقد الفريد: ١ / ٧٠.

حِجَابُكَ مِنْ مَهَابَتِهِ عَسِيرٌ وخيرك في اليمين غدا يسيرا
خرجتُ كما دخلتُ إليك إلا تُراباً صارَ في خُفِّي كثيراً

إنَّ واقع بعض النصوص يحيل إلى النكتة، وهي - كما يعرفها بعض الدارسين - «شيءٌ فكاهيٌّ يُقال بطريقة مُعينة، يشتمل على تناقضات في الأحداث، وكسرٍ للتوقعات؛ من أجل إحداث التسلية، أو إثارة الضحك، وغالباً ما تكون النكتة في شكلٍ لفظيٍّ شفاهيٍّ مختصر، ويجري سرده خلال تفاعل اجتماعي مرح...»^(١). ومن أنماط النكتة التي يشير إليها بعض الدارسين أنماطٌ تتقاطع مع نصوص أدب الحِجَاب، من مثل نمط استغراب المألوف بحيث ينتقل من مستوى اعتيادي إلى مستوى طارئ^(٢)، كقول عمر بن عبد العزيز لرجل دقَّ عليه الباب: «من هذا؟ قال: أنا. قال عمر: ما نعرفُ أحداً من إخواننا يُسمَّى أنا»^(٣).

فالمألوف أن يسأل عمر عن اسمه سؤالاً مباشراً، بعد ردِّ الطارق بقوله: (أنا)، لكنَّ عمر خالف التوقع، واستخدم إجابة الطارق استخداماً فكاهياً، واستنكر معرفته هذا الشخص، المسمى (أنا)، وغايته أن يؤدِّب الطارق بأسلوب طريف. وتأتي اللعب اللفظية كاشفةً عن حدِّ التشديد في الحِجْب، فيكرر الشاعر مادة (حَجَبَ) بصيغٍ متعددة؛ رغبةً في الإفضاء عمَّا بداخله من تبرمٍ وضيقٍ لا يخلو من السخرية والفكاهة، وكأنه يحكي استحالة الدخول، ومدى التعجيز بهذا التكرار، فيقول^(٤):

(١) الفكاهة والضحك «رؤية جديدة»، د. شاكر عبد الحميد، سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٨٩،

يناير ٢٠٠٣م: ٣٨٨.

(٢) انظر: السابق: ٣٩٨.

(٣) عيون الأخبار: ١/ ١٣١.

(٤) السابق: ١/ ٧١.

إذا ما أتيناها في حاجةٍ رَفَعْنَا الرِّقَاعَ لَهُ بِالْقَصَبِ
له حاجبٌ دونَه حاجبٌ وحاجبٌ حاجبه مُحْتَجَبٌ

وتروى بعض الطرائف القائمة على محاوراتٍ ومقاولاتٍ بين طالب الإذن، والأمير، وهي محاورات أقرب إلى الممالحات الأدبية، وأقرب ما وجدته من هذا الصنف ما روي^(١) عن قدوم أديبٍ على أمير، فكتب رقعةً ودفعها إليه، وفيها يقول:

إذا شئتَ سلّمنا فكُنَّا كَرِيشَةٍ متى تَلَقَّهَا الأرواحُ في الجوّ تَذْهَبُ
فقال الأمير للحاجب: قل له قد خففت جدًّا، فكتب رقعةً أخرى، وكتب فيها:

وإن شئتَ سلّمنا وكنا كصخرةٍ متى تَلَقَّها في حومةِ الماءِ تَرْسُبُ
فقال الأمير للحاجب: قل قد ثقلت جدًّا، فكتب رقعةً أخرى، دونَ فيها هذا البيت:

وإن شئتَ سلّمنا فكُنَّا كراكِبٍ متى يقضِ حقًّا من لِقائِكَ يَذْهَبُ
فقال: أمّا هذا فنعم، وأذن له.

فبؤرة النص تكمن في السلام=الدخول، وهذا السلام يتكيّف مع رغبات الأمير، فحين أبدى الشاعر رغبة في الدخول السريع، والجلسة العابرة، أجابته الأمير بالتخفيف الشديد في الزيارة، فاتجه إلى التقيض بالمكث الطويل (التسليم كصخرة)، فوجدها الخليفة ثقيلة جدًّا، فكان التسليم المتوسط (تسليم الراكب) هو المقبول عند الأمير، وهي رواية لا تخلو من الملاعبة بين الأمير، والشاعر، وفي الموقف استشارةٌ لقول الشعر، واستشراف القول، فكان البحث عن التصوير الأنسب يدور مع ردود الأمير، وكأن الأمير يرغب في تطويل الإذن؛ طلباً للاستمتاع بقدرة الشاعر على مقارنة التصوير.

(١) محاضرات الأدباء: ٨٩.

والتعريض لافتٌ في هذا الأدب؛ إذ إنَّ التعامل مع الخلفاء والأمراء وأصحاب القرار يحتاج إلى مداراتهم، والخشية من بطشهم، والتأدب مع مقامهم؛ ولذا كان التعريض بأسلوبٍ فكاهيٍّ مدخلاً للتعبير عن خوالج النفس، وبثِّ تكدرها من الحَجَب، ومن ذلك تصوير أبي تمام حجه عن مجلس مالك بن طوق -بعد أن كان يدخله بلا إذن- بجنة الفردوس التي تحتاج إلى أعمال زاكية، وقربات عظيمة تخوّل الدخول إليها، وهو يرمي إلى العتاب الرفيق، والتعبير عن التضايق بأسلوب رفيع، فيبدأ بمدحه ثم يصور حجه بقوله^(١):

قل لابن طوقٍ رحي سعدٍ إذا خبطت	نوائب الدَّهر أعلاها وأسفلها
أصبحتَ حاتمها جوداً وأحنتها	حِلماً وكيسها علماً ودَغْفَلها
مالي أرى القبَّة البيضاء مَقْفَلَةً	دوني وقد طال ما استفتحتُ مَقْفَلها
أظنها جَنَّة الفردوس مُعْرَضَةً	وليس لي عملٌ زالكٍ فأدْخَلها

ويبلغ الخطاب ذروته السلبية مع تفاقم الغضب من الحجب، والشعور بالإهانة، فتأتي العبارة في قالبٍ كثيفٍ، يقترن من بنية الأمثال في إيجازها، وتكثيفها، وإصابة معناها، ومن ذلك أنَّ هاشمياً حَجَبَ، فرجع غاضباً، وقال: «ليس بعد الحِجَابِ إلا العذاب»^(٢). فهو يُقارب بين الحجاب بما فيه من إهانةٍ، وانتظارٍ، وتهميشٍ، وبين العذاب بدلالته الضاربة في السلبية، واقتترانه بلغة القرآن، والسنة التي توارد فيها ذكر العذاب، وأصبح ورود اللفظة موحياً بدلالات سلبية عميقة جداً لم يكن بُدُّ من استخدامها أمام الحَجَب، الذي شكَّل في ذهنية العربي لوناً من الإهانة والإذلال.

(١) العقد الفريد: ٧٢-٧٣.

(٢) محاضرات الأدباء: ٩٠.

رابعاً - الدين والحجاب:

يُلقِي النص الديني بسلطته الواضحة على النصوص الأدبية بأجناسها المختلفة، وتبقى بعض النصوص الدينية مركزاً مُشعاً تتفاعل معه النصوص الأخرى، وتنطلق من معينه الثرِّ، ومصدره المقدس. وفي أدب الحجاب يستحضر الذهن بعض النصوص الدينية الملهمة لبعض الأفكار التي كانت ملاذاً يركنُ إليها الأدباء للتعبير عن موقفهم، ومن ألمع النصوص الدينية في هذا المقام قول المصطفى ﷺ في وصيته إلى معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتق دعوة المظلوم؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»^(١).

إنَّ هذا الحديث مثلٌ منطلقاً لموقفٍ عددٍ من الأدباء تجاه الحجب، فإن حُجِبَ عن الخليفة، أو الأمير، فَرَبُّ الخلفاء والأمراء لا حجاب عنه، وسبيل مناجاته مفتوح في كلِّ الأوقات، وهذا المعنى القارُّ في نفس المسلم يتفاعل في نصوص أدب الحجاب في ظاهرة تناصية متواترة، فحين يعزُّ الدخول على المسؤول، وتضييق الحيل يستذكر المحجوب في لحظة من لحظات الصفاء أبواب ملك الملوك المفتوحة، فهذا أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما حُجِبَ عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مَنْ يَغْشَى أَبْوَابَ الْمُلُوكِ يَتَّقُمْ وَيَتَعَدُّ، وَمَنْ يَجِدُ بَاباً مُغْلَقاً يَجِدُ إِلَى جَانِبِهِ بَاباً مَفْتُوحاً، إِنْ دَعَا أُجِيبَ، وَإِنْ سَأَلَ أُعْطِيَ»^(٢).

ويتكرَّر التناص مع هذا الحديث في عبارات مكثفة تقرب من قالب المثل، كما في قولهم: «مَنْ وَجَدَ بَاباً مُغْلَقاً وَجَدَ إِلَى جَنْبِهِ بَاباً مَفْتُوحاً»^(٣).

وتشعُّ من ذلك أيضاً موعظة غير مباشرة للمسؤول، وإيحاء بإعادته إلى وعيه

(١) الحديث في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

(٢) العقد الفريد: ٦٧/١.

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ١٩٦/٥.

بحقيقته البشرية، وحاجة الناس إلى قضاء حوائجهم، كما تفوح من هذه النصوص المتناصّة رائحة الحنق من إغلاق الأبواب، وتصفيدها أمام الجمهور، وحين يبعث الأديب بهذه الرسالة فإنّه يُوحى إلى المتلقي باستحالة الدخول، وصعوبة الوصول، وكأنه يوجه الجمهور إلى الركون إلى الله - عزّ وجلّ - بعد ما ضاقت الحيل، واستعصى اللقاء. يقول محمود الوراق^(١):

شاد الملوک قصورهم فتحصّنوا	من كلّ طالب حاجةٍ أو راغب
غالوا بأبواب الحديد لعزّها	وتنوّقوا في قبّح وجه الحاجب
فإذا تلطّف للدخول عليهم	راج تلقّوه بوعدٍ كاذب
فاطلب إلى ملك الملوک ولا تكن	بادي الضراعة طالباً من طالب

إنّ عملية التناص مع النص النبوي تضخُّ في المتلقي رهبة النصّ، وقدسيته، وإذا كان النصّ المتناص «يكاد يحمل بعض صفات الأصول»^(٢)، فإنّ هذه السمات مقصودة عند المتحدث؛ من أجل مغادرة فضاء الواقع (مجلس المسؤول) إلى فضاء آخر أقرب إلى تحقيق المطلوب، وأسرع في قضاء الحاجات (الدعاء)؛ ولذا نجد أنّ التناص حَصَرَ بنوعيه الاجتراري^(٣)، والامتصاصي^(٤)، وهما نوعان يتجلى فيهما

(١) السابق: ٦٧-٦٨.

(٢) التناص في شعر الرواد، د. أحمد ناهم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط: ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م: ٢٠.

(٣) التناص الاجتراري هو: تكرار النص الغائب من دون تغيير، أو تحوير، وهو أقرب إلى الاقتباس والتضمين. انظر: ظاهرة الشعر العربي المعاصر في المغرب، لمحمد بنيس، دار العودة-بيروت، ط: ١، ١٩٧٩م: ٢٥٣.

(٤) التناص الامتصاصي هو: مرحلة أعلى في قراءة النصوص الغائبة، وفيه تعاد كتابة النص وفق متطلبات تجربة الأديب، ووعيه الفني بحقيقة النص الغائب. انظر: السابق: ٢٥٣.

النصُّ الأصلي في رغبةٍ من المتحدث أن يعمّق في نفس المتلقي رهبة النص الديني الذي يحظى بقبولٍ وتسليمٍ وتحوُّطٍ.

وَيَسْتَحْضِرُ بعض المحجوبين في وصاياهم إلى الولاية اقتران حبِّ البشر بحبِّ الله، واقتران بُغْضِهِم ببغض الله؛ فهم شهود الله في أرضه، وهنا يحضر حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي جاء فيه: «أنتم شهود الله في الأرض»^(١). وهذا الحديث فيه تعريض بالوالي، وتمحيص لمكاته، وتحذير من قدره عند ربه، ولا ريب أن قدسية النص النبوي تمتد إلى ترهيب الوالي، وتحذيره، ونُصحه، وهي من جانب آخر تعبّر عن تضايق المحجوب، ونفوره من الانتظار، وفي هذا اللون من الخطاب يَنْفَتِحُ النَّصُّ من إيطاره الضيق الموجه إلى والٍ بعينه إلى نصح عام، يتناقله المحجوبون، ويركنون إليه في نصح الولاية والمسؤولين. تأمل قول أبي هفان لسعيد بن مسلم حينما كان والياً في أرمينية: «... فَتَحَبَّبَ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ بِحَسَنِ الْبَشَرِ، وَلَيْنَ الْجَانِبِ، وَتَسْهِيلِ الْحُجَابِ، فَإِنَّ حُبَّ عِبَادِ اللَّهِ مَوْصُولٌ بِحُبِّ اللَّهِ، وَبُغْضُهُمْ مَوْصُولٌ بِبُغْضِهِ؛ لِأَنَّهُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَرِقَابُوه عَلَى مَنْ أَعْوَجَّ عَنْ سَبِيلِهِ»^(٢).

كما يحضر المعيار الديني حضوراً لافتاً في تفاضل المُنتظرين، ويجد العلماء والدعاة تقديراً واحتراماً من الخلفاء والولاة، ويتردد في وصاياهم تأكيد الاهتمام بإنزال هذا الصنف منزلتهم، ولا يغيب عنهم ما لهذا الصنف من تأثير في المجتمع الذي يغلب عليه التدين، ويحظى فيه أهل الدين بالمهابة والوقار، ويتلقى العامة

(١) الحديث مروى عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح البخاري رقم ١٣٠١، باب ثناء الناس على الميت. قال: «مَرَّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَجِبَتْ، ثُمَّ مَرَّوا بِأُخْرَى، فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَجِبَتْ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا وَجِبَتْ؟! قَالَ: هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجِبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ».

(٢) العقد الفريد: ٦٨/١.

توجيههم وفتياهم بالقبول والتقدير... فلا غرو أن يخصّهم الولاية بمزيد عناية، واهتمام، وأن يستحضرُوا في تقديرهم تقدير العلم، واحترام مكانته. وفي وصية المهدي للفضل بن الربيع يتجلى المعيار الديني في المفاضلة، وذلك حين قال: «...وقدّم أبناء الدعوة؛ فإنّهم أولى بالتقديم، وثنّ بالأولياء، واجعل للعامة وقتاً إذا دخلوا أعجلهم ضيقه عن التلبّث، وصرفهم عن التمكّث»^(١).

ويجد الأدباء سانحةً من بعض المواقف للوعظ، والتزهيد في الدنيا، فينزاح الخطاب إلى دائرة الوعظ، ويستكين النص، ويخضع إلى سلطان المواعظ التي تتسم بالهدوء، والتوجيه، والبحث عن مواطن التأثير في المتلقي، وتسليم الفكرة في قالب واضح لا يخلو من مباشرةٍ وتقرير، كقول زاهدٍ مرّ على بابٍ، ورأى حُجَّاباً، فسأل من هذا؟! فقيل: سالم بن فلان «رجلٌ كثير المال، عريض الجاه، وقد مرض، فاحتجب، فقال:

وما سالمٌ من وإفد الموت سألماً
ومَن كان ذا بابٍ منيعٍ وحاجِبٍ
وإن كَثُرَت حُجَّابُه وكتائبُه
فعمّا قليلٍ يهجر البابَ حاجِبُه»^(٢).

خامساً - لغة الاعتزاز والفخر:

العربي بطبيعته ميّال إلى الاعتزاز والفخر، إما بنسبه وقبيلته، أو بمنصبه وجاهه، وحين ينتظر الجمهور في مجلس الحاجب ترتفع وتيرة الفخر، ويأنف بعض المنتظرين من الانتظار، ويرون انتظارهم الطويل نوعاً من إهانتهم، وهميشهم، فيحضر النفس الفخري بحثاً عن تبيد الإهانة، وسرعة الدخول، وإلى إرسال

(١) زهر الآداب: ٢/ ٥٥٠.

(٢) محاضرات الأدباء: ٩٠-٩١.

رسالة عتابٍ إلى الخليفة أو الأمير، من مثل قول هَمَّامِ الرَّقَاشِيِّ^(١):
 أَبْلَغُ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغْلَغَةً وفي العتاب حياةً بين أقوامِ
 قَدَّمْتُ قَبْلِي رَجَالًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ في الحقُّ أَنْ يَلْجُوا الأبوابَ قَدَّامِي
 لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ قَبْرًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ
 فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَةٌ عَرَضَتْ بِيَابِ قَصْرِكَ أَذْلُوهَا بِأَقْوَامِ

ومن ذلك أن ابن فضالة بن عبدالله الغنوي قدم إلى باب قتيبة بن مسلم، فحجَّبه، فقال أبياتاً مزَّح فيها العتاب بالفخر، ومن ذلك قوله^(٢):

خَالِي كَرِيمٌ وَعَمِّي غَيْرُ مُؤْتَشِبٍ ضَخْمُ الْحَمَالَةِ أَبَاءٌ عَلَى الْهَوْنِ
 وتستخدم القبيلة في استفزاز المحجوب، وتحريضه على الوالي، كما حصل مع أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا وَقَفَ بِيَابِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَحَجَّبه؛ لانشغاله ببعض مصالح المسلمين، فقال له رجلٌ: «يا أبا سفيان، ما كنتُ أرى أن تقف بباب مُضَرِّيَّ فيحجُّبك»^(٣). أراد أن يستثيره من جهة قبيلته، ونسبه، فكان الردُّ من أبي سفيان ردًّا يدلُّ على استيعاب الموقف، ونبذ الفخر القبلي أمام الفخر الديني، فقال: «لا عدمتُ من قومي من أقف ببابه؛ فيحجِّبني»^(٤).

ويقرنُ الموقف العزيز وكبرياء الشاعر الانتظار الطويل بالموت، وكأنه في لحظات انتظاره يتجرَّع غصص الموت، في معاناة يتجدد فيها الشعور بالذُّلِّ، وتَحَضُّرُ فيها الأنفة، والضيق من طول الانتظار، وهذا ماصرَّح به أحد الشعراء حينما حُجِبَ،

(١) البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل-بيروت، د.ت: ٣١٦/٢.

(٢) رسائل الجاحظ: ٧٧/٢.

(٣) العقد الفريد: ٦٧/١.

(٤) السابق.

فقال^(١):

أسألُ الذي صَرَفَ الأَعْنَ	ةً بالمواكبِ نحوَ بابِكِ
وأراكَ نفسَكَ دائِماً	ما لمْ يَكُنْ لَكَ في حِسابِكِ
وأذَلَّ مَوْقِفِي العزِيبِ	زَ عليَّ في أَقصى رِجائِكِ
ألا يُطِيلَ تجرُّعِي	عُصَصَ المنيَةِ من حِجابِكِ

ويبقى الحجاب والانتظار الطويل في نظر المحجوب لونا من الإهانة والإذلال، كما أن الخليفة والوالي يجد في الحجب شكلاً من أشكال التأديب والعقاب، ويقابل هذا اعتقاداً بأن مباشرة الدخول على الخليفة أو الأمير معدودة من الإكرام والتقدير، وإنزال القوم منازلهم، وإكرام وفادتهم، وهذا ما يتردد في الوصايا العامة للحجّاب، كما في مقولة الحسن بن سهل التي نصّ فيها على معايير المفاضلة في الدخول، وترتيب الناس على أقدارهم، وأوزانهم، والتمايز بين الصدور والأعجاز، والنواصي والأذئاب^(٢)؛ ولذا فإن لغة التعالي تبزغ بين فينة وأخرى في هذا الأدب من طرف المحجوب، وهي مُعلّلة—كما أسلفت—بردة الفعل الغاضبة من التهميش والإذلال، وفيها نفس انتقامي للموقف السلبي من الحاجب.

ونستدعي - هنا - سلطة الأدب عموماً، والشعر خصوصاً، والخشية منه، والخوف من جريرته، فهو سيفٌ صارم لا يرحم المقامات في تدوين الأحداث، وصيرورته بين الناس في وقت يتذوّقه الجمهور، ويُخيفُ المحجوب عنه، ويعيد حساباته في حجب الشعراء الموسومين بالتعالي، الراغبين في التقدير، وهذا ما يجعل لغة الفخر حاضرة في هذا الخطاب الأدبي.

(١) المحاسن والمساوي: ١٢٧.

٢-انظر: زهر الآداب: ٢/ ٥٥٠.

سادساً - حجاجية أدب الحُجَّاب:

في تقديري أن أدب الحُجَّاب حجاجي من الطراز الأول؛ ذلك أن شرطاً من نصوصه قائمٌ على اختلاف وجهات النظر، وتباين المواقف، والخصومة في شأنٍ ما. وفي الخطاب الحجاجي ممارسة عملية تؤدي إلى حلِّ الاختلافات، وفضِّ النزاعات، بل «إنَّ الحجاج هو البديل عن العنف في نظرية الحجاج؛ إذ يمكن - حسب بيرلمان وتيتكاه- أن نسعى إلى تحقيق النتيجة نفسها باعتماد إحدى وسيلتين: العنف، أو الخطاب»^(١). إضافةً إلى أن ثمة علاقة تفاعلية بين الباث، والمُتقبِّل، وهذه العلاقة التفاعلية مطلبٌ من مطالب الخطاب الحجاجي^(٢).

إنَّ طالب الإذن سيحتاج إلى إقناع الحاجب بحاجته إلى الدخول -أحياناً- وسيردُّ الحاجب بإقناع المحجوب بانشغال المسؤول، وطلب مزيدٍ من الانتظار، وسيستخدم الأمير أو الوالي حججاً للرد على الحانقين من طول الانتظار، وربما دخل المحجوب على الأمير، فبحث عن إقناعه بإقصاء حاجبه، وإبعاده عن مكانه؛ فهو يسيء إلى الوالي من حيث لا يشعر، وأحسب أن المدافعة التي تقوم على دعوى، ودفاع تحفُّز للحجاج. يقول الدكتور محمد مشبال في دراسته الحجاجية لرسائل الجاحظ: «تقوم الإستراتيجية البلاغية المهيمنة في رسالة الحُجَّاب على الحُض والنهي، أي: على الدعوة إلى إنجاز فعل، وتجنب فعلٍ آخر، وعلى هذا النحو يتركز خطاب الرسالة على تدبير الاختلاف فيما يمكن أن يجتلب الفائدة،

(١) الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية: مقارنة تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، الانتشار

العربي-بيروت، ط: ١، ٢٠١٣م: ٣٩.

(٣) انظر: الحجاج بين المنوال والمثال: نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، د. علي

الشبعان، مسكيلياني للنشر والتوزيع-تونس، ط: ٢٠٠٨، ١٦: ١٦.

ويجنب الضرر من خلال بناء العلاقة بين أصحاب السلطة، وفئات المجتمع»^(١). وعندما نفحص الحجج المستخدمة في أدب الحجاج سنجد حجة السلطة في استخدام النص الديني المقدس؛ لتخويف المتلقي، ونقله من أفق الواقع إلى أفق أُخرويٍّ تُوَجَّلُ منه النفوس المؤمنة، وهذا ما أشرت إليه في حديثي عن استخدام النصوص الدينية مقابل ما يجده المحجوب من صعوبة الدخول، وطول الانتظار، فتأتي الحجة الدينية مؤثرة في نفس المتلقي، ومستفزةً مشاعره الدينية، ولعلَّ في حديثي السابق عن الموضوع ما يغني عن تكراره هنا.

ومن الحجج المتواترة-هنا- حجة المثل «والمثال حجة بوساطة التشبيه، ولكنه تشبيهٌ ينظر إلى الأفعال، وليس الأشياء؛ حيث يقيم المتكلم المُحَاجِجُ علاقةً بين حالة خاصة، وحالة أخرى خاصة للمرور إلى قاعدة عامة... فغاية المثل البرهنة، وتأسيس القاعدة»^(٢). وفي الوصايا العامة ما يكرِّس أهمية الحاجب، والاعتناء باختياره، والبحث عن إقناع المسؤول بذلك، ومن ذلك قولهم: «حَاجِبُ الرَّجُلِ وَجْهَهُ، وَكَاتِبُهُ كُتُّهُ»^(٣). فالخليفة-هنا- له تمثيلٌ حقيقي يتمثل في ذاته، وتمثيلٌ آخر يتمثل في أعوانه، وفي سبيل تأكيد اختيار الأعوان، يَقْتَرِنُ الوجه بالحاجب، والكلُّ بالكاتب، وفي الاقتران الأول-وهو ما يعيننا هنا- ما يَشِيءُ بأهمية مقابلة الجمهور في دار الخلافة، أو الإمارة، وأنها صورة للمسؤول، وقطعةٌ منه، فلا بدَّ من أن يعتني باختيار هذا الوجه، وبهذا المثل تتكشف أهمية الحاجب، ويتعمق الاعتناء باختياره.

(١) خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقارنة بلاغية حجاجية، د. محمد مشبال، دار

كنوز المعرفة للنشر والتوزيع-عمان، ط: ١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م: ١٧٣.

(٢) السابق: ٩٨.

(٣) رسائل الجاحظ: ٤٠/٢.

ويتجه المثال-أحياناً- إلى الكشف عن ملمح إيجابي للخليفة، أو للوالي، فيستخدم الأديب حجة المثال بحثاً عن إقناع المتلقي بكريم خصال الوالي، وتخفيف حجابهِ، وكثرة الداخلين إلى مجلسه، وسرعة استجابته إلى حاجات الناس، من مثل قول التيمي^(١):

يزدحم النَّاسُ على بابهِ
والمنهل العذب كثير الزَّحامِ
وقول بشار بن برد:

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَبِرُ الـ
حَبُّ وَتُعْشَى مَنَازِلَ الكَرَمَاءِ

إنَّها صورة تدعو إلى الاقتناع حين يقترن المشهد الحقيقي لديوان الخليفة أو الأمير بصورة (المنهل العذب) أو (سقوط الطير حيث انتشار الحب). إنَّ هذا الاقتران يزيد من عمق التأثير الوجداني في نفس المتلقي تجاه الممدوح، ويرسم صورة ذهنية لهذا الصنف من الولاة، ويستفزُّ نفوس المُتَرَسِّينَ بالحجَّاب، فهذا الصنف يقترن بالمنهل العذب، فيرده الورد للشرب؛ لعذوبة منهله، ويقترن بالمنظر الكثيف للطيور، وهي تجتمع في موضع انتشار الحب، وهي صورٌ إيجابية، تصوِّر كرم الوالي، وصبره على الناس، وكثرة الغاشين مجلسه.

والحجَّاجُ يعتمد على القيم، و«عليها مدار الحجَّاج بكل ضروره»^(٢). وهذا يعني استدعاء الخير والحق والجمال، واتخاذها مراجع وخلفيات يستند إليها القول، ويتأسس الرأي^(٣)، وهي - كما يقول أحد الباحثين - : «هي التي يُعَوَّلُ عليها

(١) السابق: ٨٢/٢.

(٢) في نظرية الحجَّاج: دراسات وتطبيقات، د. عبدالله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع-تونس، ط: ١، ٢٠١١م: ٢٦.

(٣) انظر: الحجَّاج في الشعر العربي، د. سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث-إربد، ط: ٢، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م: ٢٧١.

في جعل السامع يُذعن لما يُطرح عليه من آراء»^(١). وفي أدب الحجاج تُستدعى القيم؛ للتغيير من الحجاب، وتُتخذ أداة لتقويض ثقة الولاة، وعنصراً لطريقة التعامل مع الجمهور، فحين حُجب رجلٌ عن باب سلطان كتب إليه: «نحن نعوذ بالله من المطامع الدنيئة، والهيم القصيرة، وابتذال الحرية، فإن نفسي -والحمد لله- آبية، ما سقطت وراء همة، ولا خذلها صبرٌ عند نازلة، ولا استرقها طمعٌ، ولا طُبع على طبع، وقد رأيتك وليت عرضك من لا يصونه، ووصلت ببابك من يشينه، وجعلت تُرجمان عقلك من يُكثر أعداءك، ويُتقص من أوليائك، ويُسيء العبارة عنك، ويؤججه وفد الذم إليك، ويضعن قلوب إخوانك عليك؛ إذ كان لا يعرف لشريفٍ قدراً، ولا لصديقٍ منزلة، ويُزيل المراتب عن جهل بها، فيحطُّ العليُّ إلى مرتبة الوضيع، ويرفع الدنيء إلى مرتبة الرفيع...، ويميل إلى ذي اللباس والزينة، ويقدم على الهوى، ويقبل الرشا»^(٢).

إن بؤرة الاعتزاز التي قدّم بها المحجوب ثم انزاحت إلى النيل من الحاجب ارتكزت على القيم، وحين جاء الختام جعل معيار المفاضلة والتقديم عند الحاجب قائماً على الشكل، والهوى، فكان مقتضاها ينم عن إقصاء معيار القيمة، وهذه الحجج المتواردة تعمق إقناع الوالي بسوء حاجبه، وحاجته العاجلة إلى استبداله.

ويتكرّر الاحتجاج بالقيم في إسقاط الحاجب، ونأيه عن معيارية القيمة في التقديم والتأخير، فهذا سعيد بن عبد الملك كتب إلى عبيد الله بن سليمان لما حُجب عنه: «... ثم إننا نأتيك مُتَمِّنين بطلعتك، مشتاقين إلى رؤيتك، فيحجبنا عنك مُلاحظ، وهو -كما علمت- زنيم الصنيفة، لثيم الطبيعة، يحجب عنك الكرام،

(١) كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج «رسائله أنموذجاً»، د.علي محمد علي سلمان،

المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ط: ١، ٢٠١٠م: ٩٣.

(٢) عيون الأخبار: ١/١٢٦.

ويأذن عليك للثام، كلما نَجَمَت له يدٌ بيضاء، أتبعها يداً سوداء، فإن رأيت -أعزك الله- أن تصرفه عن باب مكارمك فعلت إن شاء الله»^(١).

فالقيمة اتجهت إلى الحاجب اتجاهاً سلبياً (زنيماً، لثيماً)، ثم انتقل إلى اختلال معيار المفاضلة، فجعله معياراً معكوساً، يعزز سلبية القيمة في قرارة الحاجب، وتأتي الصورة في ذروة التأكيد والمحاكاة (إتباع اليد السوداء كل عمل حميد) في كناية عن إفساد أعماله، ولا نتجاوز استخدام لفظة (باب المكارم)، فهي تقرأ في سياق القيم التي يتدثر بها الخليفة، ويبددها الحاجب.

وتجد بعض النصوص تزخر بمقدمات منطقية تسهم في استقامة الحجة، وقوة تدليلها، وربما اقتربت مما يسميه أصحاب النهج الحجاجي مبدأ (التماثل والحد)؛ إذ يبدأ النصُّ بمقدمة ضابطة، لا علاقة لها بموضوعه، لكنها تسهم إسهاماً عميقاً في الإقناع بحجته، وتضع أسساً تستقيم به الحجة، ويعمق الإقناع. ومن ذلك كتابة أحمد بن أبي الطاهر لَمَّا حُجِبَ^(٢):

ليس لحرٍّ من نفسه عوض، ولا من قَدْرِهِ
خطر، ولا لبذل حرّيته ثمن، وكل ممنوع
فمستغنى عنه بغيره، وكل مانع ما عنده ففي
الأرض عوض عنه، ومندوحة عنه، وقد قيل:
أرخص ما يكون الشيء عند غلائه، وقال
بشار: والدُّرُّ يُتْرَك من غلائه

مقدمة منطقية (التماثل)

(١) زهر الآداب: ٥٥١ / ٢.

(٢) رسائل الجاحظ: ٤٤ / ٢ - ٤٥.

وقد رأيتك وليت عِرْضَكَ من لا يصونه،
 ووكلت ببابك من يَشِينُهُ، وجعلت ترجمان
 كرمك من يُكْثِرُ من أعدائك، وينقص من
 أوليائك، ويسيء العبارة عن معروفك،
 ويوجّه وفود الدّم إليك، ويضعن قلوب
 إخوانك عليه؛ إذ كان لا يعرف لشريفٍ قدرًا،
 ولا لصديق منزلة... .

العرض واستخدام حجة القيم

... وذلك إليك منسوبٌ، وبرأسك
 معصوبٌ، يلزمك ذنبه، ويحلُّ عليك
 تقصيره.

الغاية والهدف (اللازمة)

إنَّ هذا النص حجاجيٌّ بامتياز؛ فهو يبدأ بمقدمة منطقية تعطي حدوداً وضوابط مهمة للاستغناء عن النفيس، والاستعاضة عن الحاذق في عمله، وكانت العبارات المستخدمة مكثفة تقترب من الحكم الجاذبة، والأمثال المقنعة، وعزّزها بأقوال مأثورة، واستشهد بشطر من بيتٍ لبشار، فارتفعت وتيرة الإقناع، وكان المهاد واضحاً لغايته، فكان أن استخدم القيم، وهي - كما أسلفت - من أبرز ألوان الحجاب التي يدعن لها المتلقي، وذروة الإقناع في استبعاد الحاجب جاءت في خاتمة النص حين

جعل لوازم القيم السلبية لاصقة بالوالي، عالقته به، مردودة إليه؛ فاخياره الحاجب قطعةً منه، واستخدام الصورة (برأسك معصوب) أسهمت في تعميق الإلصاق، وهنا يصل الإقناع إلى ذروته، وينجح الكاتب في إقناع الخليفة بإقصاء الحاجب من منصبه.

سابعاً - سمات الحجاب:

سمات الحاجب من ألمع الموضوعات المُعالجة في هذا اللون الأدبي، وتتردد معالجةً صريحةً لسمات الحاجب الأمثل، أو ضمنيةً من خلال المفهوم الكلي للنص، وتتنوع السمات المطلوبة في الحاجب ما بين سماتٍ خلقية، وأخرى حسية، وتعالج بعض مظاهر اللياقة في التعامل مع الجمهور، وأغلب هذه السمات جاءت في قالب الوصية التي يزيها الخبير إلى الأمير أو الوالي، وقد عقد الجاحظ باباً سمّاه «من ينبغي أن يتخذ للحجابه»^(١). وفي هذا الباب أورد عدداً من النصوص المهمة التي تحمل سمات الحاجب، ومن ذلك قول المنصور للمهدي: «لا ينبغي أن يكون الحاجب جهولاً، ولا غيباً، ولا عيباً، ولا ذهولاً، ولا متشاغلاً، ولا خاملاً، ولا محتقراً، ولا جهماً، ولا عبوساً»^(٢). إنها سمات جاءت بصيغة النهي، واستخدام المسار السلبي كرس التحذير الشديد، والتوجس القائم في هذه الخصائص، وذكرها - هنا - مجملةً ثم تفصيلها دالاً على عمق التوجس من كل سمةٍ محذورة في الحاجب. تأمل قوله: «فإنه إن كان جهولاً أدخل على صاحبه الضرر من حيث يُقدّر المنفعة، وإن كان عيباً لم يؤدّ إلى صاحبه، ولم يؤدّ عنه، وإن كان غيباً جهل مكان الشريف، فأحلّه غير منزلته، وحطّه عن مرتبته، وقدم الوضع عليه، وجعل ما عليه وماله، وإن كان ذهولاً أدخل بما يحتاج إليه صاحبه في وقته، وأضاع

(١) رسائل الجاحظ: ٣٧/٢.

(٢) السابق: ٣٧/٢.

حقوق الغاشين على بابهِ، واستدعى الذمَّ من الناس له، وأذنَّ عليه لمن لا يحتاج إلى لقائه، ولا ينتفع بمكانته...»^(١).

إنَّها وصيةٌ تفصيلية تكشف عن عاقبة كل خصيصةٍ حذَّر منها، واستطاع أن يزاوج بين السمات الفطرية، والمكتسبة، وأن يربط كل عيبٍ بعواقبه الخاصة، فالغبيُّ لا يعرف أقدار الناس، ويُغضبُ الشريف، وذا المكانة، والعبيُّ لا يُفصح عن رسالة الأمير، ولا يحسن إيصال المطلوب إليه، وهكذا في جهدٍ تفصيليٍّ دقيق لعيوب الحاجب تكشف عن أهمية منصبه، وخطورة خطئه.

وحسن الهيئة وجمال الخلقة سماتٌ مطلوبةٌ في الحاجب، مع الرأفة والرحمة، وحسن الاستقبال، ومعرفة مراتب القوم^(٢). ولأهمية الحاجب ومهامه التي تمثِّل وجهًا للمسؤول، فقد استغرق بعضهم في صفاته المطلوبة، فأورد منها ملامح في غاية الدقة، من مثل: مساواة الحضور بالالتفات، واستعطف قلوبهم إليه، كما في قول سهل بن هارون: «... وليعط كلاً بقسطه من وجهه، ويستعطف قلوب الجميع إليه»^(٣).

وبعضهم فرَّق بين حاجب الخاصة، وحاجب العامة، فكل واحدٍ من هذين الصنفين له سماتٌ مختلفة، فالأول لا بدَّ من أن يكون «شريف البيت، بعيد الهمة، بارع الكرم، متواضعاً، طلقاً، مُعتدل الجسم، بهيِّ المنظر، لين الجانب...، مشتاقاً إلى محادثة العلماء، ومجالسة الصلحاء...، مجانباً للكذابين، صدوقاً إذا حدَّث، وقيّاً إذا وعد، مُتفهماً إذا خوطب، مجيباً بالصواب إذا روجع»^(٤).

(٣) السابق: ٣٧-٣٨/٢.

(٤) السابق: ٣٨-٣٩/٢.

(٥) السابق: ٣٩/٢.

(٤) السابق: ٣٩/٢.

أما حاجب العامة فينبغي أن يكون «عبد الطاعة، دائم الحراسة للملك، مَخَوْف اليد، خَشَن الكلام، غير باطش إلا بالحقِّ، لا أنيساً، ولا مأنوساً، دائم العبوس، شديداً على المُريب...»^(١).

إنها فروقٌ دقيقة ميَّزت بين الجمهور، فالخاصة من العلماء والدعاة والأدباء والوزراء يحتاجون إلى حاجب بمواصفات تستوعبهم، وتُظهر مكائبتهم، وتكسب ودَّهم وتأثيرهم، والعامة من غير الأصناف المتقدمة لا بدَّ من أن توضع لهم سياسة تضبطهم، وتكرِّس فيهم رهبة الحاكم، واحترام مجلسه، من غير بطش، ولا ظلم.

وفي بعض المواطنين تجد الملك يختبر الحاجب، ويستنطق أفعاله، ويستشير ردود فعله، وغايته أن يكتشف أخلاقه، وسماته، كما في قول أحد الملوك: «إنَّك عيني التي أنظرُ بها، وجُنَّتِي التي أستنيم إليها، وقد وليتك بابي، فما تراك صانعاً برعيتي؟ قال: أنظرُ إليهم بعينك، وأحملهم على قَدْرِ منازلهم، وأضعهم لك في إبطائهم عن بابك، ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم، وأرتبهم حيث جعلهم ترتيبك، وأحسن إبلاغك عنهم، وإبلاغهم عنك»^(٢).

إنَّه اختبار حقيقي للحاجب؛ لاستِجْلاء قدراته، ومعرفة حصافته، وكان الجواب دالاً على حذق الحاجب، ورعايته مكانة الملك، وتركيزه على منازل القوم، وأمانة الكلمة المنقولة إليه، والمستقبلة منه، وهذا المنطق أعجب الملك، لكنه جعل الوفاء به مشروطاً، فقال: «قد وفيت بما عليك قولاً، إن وفيت به فعلاً»^(٣).

وتأتي بعض الجمل الكثيفة مقارنةً الأمثال في بنيتها، وتركيزها، وتشبيهاً بأهمية

(١) السابق: ٤٠/٢.

(٢) زهر الآداب: ٥٤٩/٢.

(٣) السابق: ٥٥٠/٢.

اختيار الحاجب، وخطورة مكانه، من مثل قولهم: «حَاجِبُ الرَّجُلِ حَارِسُ عَرْضِهِ»^(١). وقولهم: «حاجب الرجل وجهه، وكاتبه كُله»^(٢). وهي عبارات تمتلئ بتعظيم مكانة الحاجب، واستُخدمت فيها لغة التصوير؛ لأنها لغة تُقَرَّبُ الغاية، وتستقصي المعنى، فالحاجب حارسٌ للعرض، ووجهٌ للوالي، وفي الحراسة تُسْتَصْحَبُ أمانة الحارس، وولائه، ويقظته الدائمة، وفي اقتران الحاجب بالوجه دليل على كونه واجهة الخليفة أو الأمير للدخول عليه، فتصرفات الحاجب، وأخلاقه منسوبة إلى الخليفة؛ لأنه اختاره لهذا المكان المهم، واختيار الإنسان قطعةً منه.

إنَّ دوران شطَرٍ من هذه النصوص حول سمات الحاجب وأبرز ما ينشده الوالي فيه تُعطي دلالة أكيدة على أهمية هذا المنصب، وحساسيته، وعمق تأثيره السياسي، وأنَّ سلطة الحاجب وصلت في بعض الحقب التاريخية إلى سلطة عليا بعد سلطة الأمير، وأصبح اختياره يمثل مصلحةً كبرى للوالي، وللرعية، وظهر صدى هذا الاهتمام من وفرة النصوص التي توصي بمواصفاته، وتحذر من عيوبه، واتجه الخطاب -أحياناً- إلى أصحاب الولايات في استحثاثهم على اختيار الأمثل، والتحذير من عاقبة التفريط في كفاية الحاجب.

ثامناً - إستراتيجية الحث والنهي:

يقول محمد مشبال في حديثه عن رسالة الحُجَّاب للجاحظ ت ٢٥٥ هـ: «تقوم الإستراتيجية البلاغية المهيمنة في رسالة الحُجَّاب على الحُصِّ والنهي، أي: على الدعوة إلى إنجاز فعل، وتجنب آخر...»^(٣). والحقُّ أنَّ هذه الإستراتيجية تمثل ملمحاً بازغاً في نصوص أدب الحُجَّاب عموماً؛ ذلك أنَّ أطراف الحوار (الوالي -

(١) عيون الأخبار: ١/ ١٢٣.

(٢) رسائل الجاحظ: ٢/ ٤٠.

(٣) خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقارنة بلاغية حجاجة: ١٧٣.

الحاجب-المحجوب) تهيمن عليهم لغة الحثِّ، والنَّهي، فالوالي يستحثُّ الحاجب على القيام بواجبه، وتحذيره من التقصير، أو الإخلال بمهمته، والمحجوب يتجاوز الحاجب إلى الوالي، فيحثه على تغيير حاجبه، أو النَّهي عن المبالغة في الحجب، والحاجب يطلب من الراغبين في الدخول التحلِّي بالصبر، وينهى عن الإلحاح في الطلب، وهكذا تدور عجلة الخطاب على هذه الثنائية المتحركة التي استحکم فيها الخطاب الأخلاقي، وهيمن عليها موضوع سياسة الحكم، وطوّت -في بعض صورها- لغةً متضجّرة من طرف المحجوب تعالت فيها هذه الثنائية.

ومن مخزون الحوارات القائمة على هذه الإستراتيجية تتشكل صورة ذهنية للحاجب، غلبت عليها صورةٌ ذهنيةٌ ذات بعد سلبي للحاجب، فبدأ في صورة مُتسلّطة، صعبة المراس، تَسْتَخْدِمُ عصا السلطة، وتتعامل مع الجمهور بنوع من التعالي، فجاءت جملةٌ من النصوص حاثّةً على إقصائه، والنَّهي عن استعماله، وإذا ما سَقَطَ الحاجب، ووضع الحِجَابِ، أو خُفِّفَ فَإِنَّ لغة الخطاب تتغير إلى لغة المدح الهادئة، وتُرسم صورةً إيجابية للوالي، وتتبدّد لغة الحثِّ والنَّهي؛ ولذلك قيل: «خير خلال السلطان سهولة الحجاب»^(١). وهذا ما نجده في قول ابن هرمة مصوراً سهولة الحجاب في لغة إيجابية^(٢):

هَشُّ إِذَا نَزَلَ الْوَفُودَ بِبَابِهِ سَهْلُ الْحِجَابِ مُؤَدَّبُ الْخَدَامِ

وغالباً ما تأتي الوصية حاملة هذه الثنائية «وتترجّح دلالات هذه الوصايا بين نهي المحتجبين والحاجبين عن الاحتجاب، وبين توجيه الطلب للحاجبين بالإذن للناس، وحسن معاملتهم، وبين توجيه الطلب الصريح، أو الضمني باتخاذ حاجب

(١) المحاسن والمساوي: ١٢٢.

(٢) انظر: عيون الأخبار: ١/ ١٢٩.

تتوفر فيه شروطاً وخصالاً معينة»^(١). ومن ذلك قول أبي هفان لسعيد بن مسلم: «... تحبب إلى عباد الله بحسن البشر، ولين الجانب، وتسهيل الحجاب»^(٢).
والأمر والنهي أسلوبان إنشائيان، والإنشاء يستثير الذهن، ويجدد نشاط المتلقي، ويحرك انتباهه؛ لأنه أكثر حركةً واندفاعاً، ذلك أن الإنشاء طلب، والطلب يقتحم ذهن المتلقي والسامع، وهذا الأسلوب ناجعٌ في وصية الوالي للحاجب، فهو مع كل أمرٍ ونهيٍ يجدد انتباهه، ويلفت وعيه لأهمية كل جملة من جملته، ويشحن المتلقي إلى مزيدٍ من التركيز والتأمل في طلبه. تأمل قول المهدي إلى الفضل بن الربيع: «... فلا تجعل الستر بيني وبين خواصِّي سبباً لضغنهم بقبح ردِّك، وعُبوس وجهك، وقدم أبناء الدعوة؛ فإنهم أولى بالتقديم، وثنُّ بالأولياء، واجعل للعامة وقتاً...»^(٣).

وتتوالى أفعال الأمر في بعض النصوص؛ رغبة من الوالي في تعميق أهمية كل جملة من جملة، واسترعاء سمع الحاجب إلى كل أمرٍ يأتي في مطلع الجملة، فتتوالى الجملة الطلبية ممثلة وصايا متواترة، ومُبْرزة عناية الوالي برعيته، واحترازه من كل تأويلٍ سلبيٍّ للحجب، ومحذراً من استغلال الحاجب منصبه، واستخدام يد السلطة في غير موطنها، إضافة إلى ما يحدثه هذا التوالي من جرسٍ صوتيٍّ، تنقسم من خلاله الجملة انقساماً منطقيًا، يتوالى فيها الجرس العالي مع كل أمرٍ يتوارد في النص. تأمل قول أحد الخلفاء: «إذا جلست فأذن للناس جميعاً عليّ، وأبرز لهم وجهي، وسكن عنهم الأحراس، واخفض لهم الجناح، وأطب لهم بشرك، وألن لهم في المسألة والمنطق، وارفع لهم الحوائج، وسوِّ بينهم في المراتب، وقدمهم على

(١) خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقاربة بلاغية حجاجية: ١٧٦.

(٢) العقد الفريد: ٦٨/١.

(٣) زهر الآداب: ٥٥٠/٢.

الكفاية والغناء، لا على الميل والهوى»^(١).

ومما يشار إليه -هنا- أن بعض النصوص استغرقت في أسباب النهي، فجاء النهي مجملاً، ثم ورد التفصيل في سبب النهي؛ رغبةً من الوالي في التعريف بعواقب الأمور، ومآلات الحُجْب، وهذا يكرّس مجدداً أهمية هذا المنصب، وحساسيته، واستغراق الخلفاء والملوك والولاة في الإفصاح الدقيق عن كل هفوةٍ ربما تصدُر عن الحاجب، أو خطأً سيجد مجالاً عريضاً للتأويل، والتضخيم من قبل الجمهور، وهو دالٌّ من جانب آخر على حرص بعض الولاة على رعيّتهم، وصيانتهم عن الذل، والهوان، وفتح الأبواب؛ لمناقشتهم في حقوقهم، ورفع مظالمهم، ومما يمثل هذا اللون قول خالد بن عبدالله لحاجبه: «لا تحجبني عني أحداً إذا أخذت مجلسي». فهذا النهي مجملٌ، يفسّره قوله: «فإنَّ الوالي لا يُحجب إلا عن ثلاث: عيٌّ يكره أن يُطلَّع عليه منه، أو ريبة، أو بخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله»^(٢). ومن هذه العبارة أخذ محمود الوراق الفكرة وصاغها شعراً، فقال^(٣):

إذا اعتصم الوالي بإغلاقِ بابه	وردَّ ذوي الحاجات دون حجابِه
ظننتَ به إحدى ثلاثٍ وربَّما	نزعْتَ بظنِّ واقِعٍ بصوابِه
فقلتَ به مسٌّ من العيِّ ظاهرٌ	ففي إذنه للناسِ إظهار ما به
فإن لم يكن عيِّ اللسانِ فغالِبٌ	من البخلِ يَحُمي ماله عن طِلابِه
فإن لم يكن هذا ولا ذا فريبَةٌ	يُصرُّ عليها عند إغلاقِ بابِه

إنَّ هذا الأسلوب أسهم في تعزيز أهمية منصب الحاجب، وخطورة تصرفاته،

(١) رسائل الجاحظ: ٣٢ / ٢.

(٢) عيون الأخبار: ١٢٤ / ١.

(٣) السابق: ١٢٤ / ١.

وكلفة أخطائه، ومن جانب أسلوبه استجلب ذهن المتلقي إلى مزيدٍ من العناية بالقول، وكلفت انتباهه من خلال هذا الأسلوب الإنشائي الطلبي إلى كل فكرة ترد في حثٍّ أو نهي، ولا ريب أن هذا الأسلوب ناجعٌ في الوصايا التي حضرت بوضوح في نصوص أدب الحجّاب.

ويبقى أدب الحجّاب باحةً واسعةً للبحث والدرس، وساحة لاستنطاق نماذجه بمزيد من الخصائص الفكرية والفنية، وفي نماذجه المبتوثة في كتب التراث أصالةً وجمالاً تحتاج من المهتمين بالدرس الأدبي السعي إلى جمعه وضبطه، وبَعثه بين متذوقي الأدب، وأرباب الفن، وسيجد أصحاب المناهج النقدية الحديثة - وخاصة أرباب المنهج التداولي - فرصة لتطبيقه على نماذج تراثية أصيلة؛ فهذا اللون الأدبي يزخر بتنوع كبير، ويمثّل لوناً من ألوان الأدب العفوي في جلِّ نصوصه، ويفتح نافذةً على مقاولات أدبية تكشف عن نمطٍ من أنماط الحياة السياسية في القديم، وتعطي تصورات دقيقة عن منصب سياسي مهم، وتبقى إشارة الشيخ علي الطنطاوي إلى هذا اللون دالة على حصافته، وعمق قراءاته، وسعة اطلاعه، فرحمه الله رحمة واسعة، فقد كان مُلهماً للباحث في كتابة هذه المقالة التي أرجو أن تفتح أفقاً أرحب للباحثين، وتستحثهم على تخصيص هذا اللون الأدبي المهم بمزيد من الدراسة والتقصّي.

والله الموفق، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبرز المصادر والمراجع

- الأجناس الوجيزة في النثر العربي القديم، لجميل علي، بحث دكتوراه غير منشور، مُنجز في عام ٢٠٠٤م/٢٠٠٥م، جامعة منوبة، كلية الآداب والإنسانيات والفنون.
- أسماء الكعبة المشرفة، للعلامة محمد المكي حسين، بإشراف علي الرضا التونسي، د.ن، د.ت.
- بلاغة النادرة، لمحمد مشبال، أفريقيا الشرق، ط: ١، ٢٠٠٧م.
- بلاغة النادرة في الأدب العربي، لسليمان الطالي، كنوز المعرفة، ط: ١، ٢٠١٥م.
- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل-بيروت، د.ت.
- التذكرة الحمدونية، لابن حمدون، تحقيق: إحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر-بيروت، ط: ١، ١٩٩٦م.
- التناص في شعر الرواد، د.أحمد ناهم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط: ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.
- التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، د.صالح بن رمضان، مطبوعات النادي الأدبي في الرياض، المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء، ط: ١، ٢٠١٥م.
- الحجاج بين المنوال والمثال: نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، د.علي الشبعان، مسكيلياني للنشر والتوزيع-تونس، ط: ١، ٢٠٠٨م.
- الحجاج في الشعر العربي، د.سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث-إربد، ط: ٢، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- الخبر في الأدب العربي: دراسة في السردية العربية، د.محمد القاضي، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، ط: ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقاربة بلاغية حجاجية، د.محمد مشبال، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع-عمان، ط: ١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

- الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية: مقارنة تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، الانتشار العربي-بيروت، ط: ١، ٢٠١٣م.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، لمحمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم: مشروع قراءة شعرية، د. صالح بن رمضان، دار الفارابي، ط: ٢، ٢٠٠٧م.
- رسائل الجاحظ، للجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة، د.ت.
- زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق الحصري، ضبط: زكي مبارك، دار الجيل-بيروت، ط: ٤، د.ت.
- ظاهرة الشعر العربي المعاصر في المغرب، لمحمد بنيس، دار العودة-بيروت، ط: ١، ١٩٧٩م.
- العقد الفريد، لابن عبد ربه، تحقيق: مفيد قميحة، مكتبة دار الباز-مكة المكرمة، د.ت.
- عيون الأخبار، لابن قتيبة، تحقيق: د. محمد الإسكندراني، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- الفكاهة والضحك «رؤية جديدة»، د. شاكر عبد الحميد، سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٨٩، يناير ٢٠٠٣م.
- فكر ومباحث، لعلي الطنطاوي، دار المنارة - جدة، ط: ٣، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، د. عبد الله صولة، مسكيلاني للنشر والتوزيع-تونس، ط: ١، ٢٠١١م.
- كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج «رسائله أنموذجاً»، د. علي محمد علي

- سلمان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ط: ١، ٢٠١٠م.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر-بيروت، د.ت.
 - مثالب الوزيرين، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر للطباعة والنشر-دمشق، ط: ٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
 - المحاسن والمساوي، إبراهيم البيهقي، اعتنى به: عدنان علي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: ١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
 - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصبهاني، دار الآثار-بيروت، د.ط.
 - معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية من العصر الراشدي حتى بداية القرن العشرين، د.قتيبة الشهابي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٥م.
 - مفيد العلوم ومبيد الهموم، لذكريا القزويني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، د.ت.
 - موسوعة السرد، د.عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع-بيروت، ط: ١، ٢٠٠٥م.
 - موسوعة العرب ولطائف الأدب، لحسن الحفناوي، منشورات المجمع الثقافي في أبوظبي، ط: ١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
 - نظام الحكم في الإسلام، لمنصور الرفاعي عبيد، الدار الثقافية للنشر، ط: ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

Literature of Ministers (Hujjab)

Clarification of the Vision and the Art

Dr. Abdulkareem Bin Adullah Al- Abdulkareem

Abstract

This research tries to clarify the most outstanding intellectual and artistic characteristics of the Literature of Ministers(Hujjab).Ministers played a very important role in the literary life in the old ages. Their councils were literary incubators for various types of literature , which the researcher tries to combine, Identify , extract their most prominent features and to open new horizons for others to continue.

Ministers' literature , with its various types and shapes ,resembles a model of spontaneous literature which reveals the political status of those ages, so sometimes the literary text turned into a poignant and hortatory piece.

Ministers' Literature is full of artistic characteristics that many eminent literary men as Al-Jahith,Iben Kotaiba , Iben Abdirabbeh , Abi Hayyan Atawheedi and others to allocate a drove space of their books to it.

Key words:

Hujjab – Literature of Ministers – Old Literature.